مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الأولى

علاء حامد

Alaa Hamed

ملخص المحاضرة الأولى

واشتكت المرأة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد، أهلاً ومرحبا بكم بدورة جديدة ولقاء جديد وفضل من الله جديد.
نبدأ هذه المدارسة الممتعة للجزء الثامن والعشرين من أجزاء القرآن، المعروف بجزء "قد سمع" أو جزء "المجادلة".

مكانة جزء "قد سمع" :

يُشاع بين عامة الناس أن هذا الجزء صعب بسبب وجود سور مثل: المجادلة، الممتحنة، الطلاق، التحريم، التغابن.
وفيه العقائد والأحكام والتربويات هو جزء يرقق القلب ويعمّق الإيمان.

تسمية السورة والجزء :

سورة المجادلة تبدأ بـ:
{قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ}.
لذلك سُمِّي الجزء كله بـ"قد سمع"، كما سُمِّي الجزء الذي بدأ بـ "تبارك" بإسم أول سورة فيه، على عادة السلف.

- للسورة عدة أسماء: المُجادَلة على اعتبار الجدال الذي حصل بين المرأة والنبي صلى الله عليه وسلم، المُجادِلة على حال (صفة) المرأة وهي خولة بنت ثعلبة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى قد سمع، وتسمى سورة الظهار.
- وهي سورة مدنية باتفاق المفسرين.

من خصائص هذا الجزء:

تكريم المرأة في الإسلام وهو الخيط الجامع في كثير من سور هذا الجزء، بعد أن كانت لاشيء في الجاهلية. فصار لها أحكام وشأن، وغضب الله لها وأنزل لها أحكامًا شديدة على الرجل إذا استهان بحقها ومثال ذلك:

في سورة المجادلة: بدء السورة بشكوى امرأة إلى الله.
في سورة الممتحنة: مشهد مبايعة النساء.
في سورة الطلاق: بيان حقوق المرأة في حال الطلاق.
في سورة التحريم: ضرب المثل بالنساء الصالحات مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران.

ملخص المحاضرة الأولى

واشتكت المرأة

موضوعات سورة المجادلة :

قصة المرأة المجادِلة، وأحكام الظهار وما يترتب عليه، والكفارة.

الحديث عن أحوال المنافقين وموالاتهم لليهود.

آداب متعلقة بمجلس النبي ﷺ، ومنها

{يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوٓا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَـٰلِسِ فَافْسَحُوا..}

وآداب في معاملة النبي عليه الصلاة والسلام ومناجاته.

{يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوٓا إِذَا نَـٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً...}.

الثناء على المؤمنين الذين تبرؤوا من المشركين واليهود، وبيان أن حزب الله هم المفلحون.

(الآية 1) :

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

{قَدْ سَمِعَ}

"قد" هنا تفيد التحقيق والتوكيد. أي أن الله تعالى قد سمع يقينًا قول المرأة.

هذا دليل على عناية الله بشكوى امرأة ضعيفة، ورفع شأنها حتى خلد ذكرها بالقرآن.

من هي المرأة المجادلة؟

هي خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت أخو الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنهما وكلهم من الأنصار وقد عاشت مع زوجها منذ صغرها.

في أحد المواقف تروي خولة بنت ثعلبة عن نفسها فتقول:

" نزلت فيَّ والله وفي أوس بن الصامت صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خُلقه، فدخل علي يومًا فراجعته بشيء أي ناقشته فيه فغضب وقال: "أنت علي كظهر أمي"، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت:

فواثبني فامتنعت منه، فغلبته بما تغْلبُ به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابًا، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خُلُقه". فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقِ الله فيه".

قالت: والله مابرحت حتى نزل فيَّ القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يتغشاه (تقصد الوحي) قالت ثم سُرّي عنه ﷺ، فقال لي: ياخويلة

"قد أنزل الله فيك وفي صاحبك" ثم قرأ عليَّ:
{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا..}
إلى قوله
{وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ ۝ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
(الآيات من 1-4)
فقال النبي ﷺ: مُريه فليعتق يعتق رقبة، قالت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق.
فقال رسول الله ﷺ: "فليصم شهرين متتابعين" .
قالت: يا رسول الله: إنه شيخ كبير مابه من صوم.
قالت: قال رسول الله ﷺ: "فليطعم ستين مسكيناً" .
قالت فقلت: يا رسول الله ما ذاك عنده.
قال رسول الله ﷺ: "إنا سنعينك بوسق من تمر".
قالت: يا رسول الله وأنا سأعينه بوسق آخر.
قال ﷺ: "قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه. ثم استوصي بابن عمك خيرًا" .
قالت: ففعلت."

الظهار، الحكم الشرعي، وكفارة الظهار:

تعريف الظهار:

أن يقول الرجل لزوجته: "أنت علي كظهر أمي" أو يشبّهها بأي عضو من أعضاء المحرمات تحريمًا مؤبدًا (الأم، الأخت، العمة، الخالة)، أو جزء منها يحرم عليه النظر إليه، فلو قال: أنت عليَّ كبطن أمي، أو قال أنت عليَّ كفخذ أختي، فبهذا اللفظ حُرمت عليه ويقع الظهار.
كان الظهار وفي الجاهلية يُعتبر طلاقًا لا رجعة فيه.

في رواية أخرى أنه كان جدال بين النبي ﷺ وخولة
لما حكت خولة الموقف للنبي ﷺ كما حصل. فكان رد النبي ﷺ أولًا: "يا خولة ما أراكِ إلا قد حرمتِ عليه"،
لأنه لم يكن قد نزل حكم الظهار بعد، وكان يعتبر طلاق في ذلك الوقت لذلك امتنعت منه، حتى تتأكد وتسأل النبي صلى الله عليه وسلم.
يستفاد من ذلك وجوب معرفة أحكام الدين قبل الإقدام على أي قول أو فعل، حتى لايقع المسلم في محظور شرعي، وضرورة التحاكم لشرع الله في جميع المعاملات الأسرية والاجتماعية والمالية، لأنه الحكم العادل.

ويستفاد أيضًا أهمية وضرورة الحياء والعفة والخروج باللباس الشرعي عند نساء المسلمين: فخولة رضي الله عنها خرجت إلى النبي ﷺ بعد أن استعارت ثيابًا من جارتها، محافظة على سترها وحيائها وحجابها، وهذا للأسف عكس واقع بعض النساء اليوم ممن قد يخرجن أو يقفن في الشرفات بملابس البيت دون اكتراث وحياء.

نكمل القصة في الرواية الأخرى والجدال:

فقالت للنبي ﷺ: "يا رسول الله، إن أوسًا قد تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ، فلما كبرت ومات أهلي قال لي: أنت علي كظهر أمي" وكانت لي منه صبية صغار، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا."

فأرادت أن تراعي مصلحة بيتها وأولادها، لا أن تُخرب بيتها.

فرد عليها ﷺ "ما أراك إلا قد حرمتِ عليه."

لكنها أصرت، وقالت: يارسول الله لا تفعل، فإني وحيدة ليس لي أهل سواه."

كانت تجادل وتراجع في الكلام، لذلك سميت "المجادِلة والمجادَلة"

لما لم تجد عند النبي ﷺ حكمًا جديدًا، لجأت إلى الله مسبب الأسباب، فقالت: "اللهم إني أشكو إليك حالي، وانفرادي، وفقري".

فوقعت كلماتها موقعًا عظيمًا في السماء، حتى نزل جبريل بالوحي على النبي ﷺ متلبسًا إياه كالوحي الذي يكون كالصلصلة ، وهي أصعب أنواع الوحي التي تكون على النبي ﷺ، معلنًا الحكم الجديد وهو أبطال الظهار.

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ... وَاللَّهُ يَسْمَعُ...إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

فيه إثبات صفة السمع

سمع حقيقي لله سبحانه وتعالى..

تقول عائشة رضي الله عنها: "سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت في الحجرة التي كانت فيها المجادلة، أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه، ومع ذلك سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات"

موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته مع خولة بنت ثعلبة:

كان ماشيًا في موكب ضخم فيه رجالات الدولة وبينما هو يمشي إذ نادت عليه إمرأة قالت: ياعمر، فأوقف رضي الله عنه الموكب ونزل عن فرسه، وذهب إليها ووقف معها وأطال حتى ملَّ من هم في الموكب، فلما رجع لهم قالوا: ياعمر تركت الرجال وتركت الناس من أجل امرأة ؟!

ملخص المحاضرة الأولى

واشتكت المرأة

قال عمر رضي الله عنه:
" أما تدرون من هذه المرأة؟
" إنها خولة بنت ثعلبة امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات والله لو وقفت مع عمر إلى آخر الليل لوقف معها عمر.

{ تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ }
المُجادَلة: الحوار الذي فيه مراجعة وأخذ ورد واحتجاج.

ما أحسن شكوى هذه المرأة رغم وقوفها بين يدي نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا إنها لما انقطعت بها الأسباب لجأت لله عز وجل وحده وأحسنت في شكواها إليه.
المشكلة قد تكون بسيطة، لكن الحل الحقيقي أن تعرف كيف ترفع شكواك إلى الله وهذه هي الشكوى الحقيقية.
أن الله قريب سميع مجيب، يغير الأقدار ويحلّ أعقد المشاكل من أحسن الشكوى إلى الله فرّج الله همه.
نماذج من حسن الشكوى إلى الله :
عائشة لما اتهمت في عرضها قالت:
{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ}
فجاءت براءتها من فوق سبع سماوات.
شكوى يعقوب عليه السلام: قال
{إِنَّمَآ أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِيۤ إِلَى اللَّهِ}
فانفرجت كربته واجتمع أهله وعاد إليه بصره.
شكوى النبي ﷺ بعد الطائف لما دعا قائلاً:
"اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".
فلما اشتكى إلى الله،كان الفرج بعدها بالإسراء والمعراج، ثم لقاء الأنصار وإسلامهم ثم بيعة العقبة والهجرة وبداية التمكين.

ثبت عقيدتك، فالشكوى إلى غير الله من المقبورين أو الأولياء لا تنفع، قال تعالى:
{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}
وقال النبي ﷺ: "من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله يوشك الله أن يرزقه عاجلًا أو آجلًا"(حديث حسن).

إذا انقطعت الأسباب، لا تيأس؛ الله يسمع الشكوى ويملك الفرج.
مهما تكلمنا إلى الناس فهناك أمور لا تُقال للبشر، ولا يطمئن القلب إلا حين تُرفع إلى الله وتعوَّد أن تقول إلى الله المشتكى.
من تعلق بالله فُتحت له أبواب خاصة من رحمته.
"إياك من ليس له إلا الله"،
إياك أن تظلم من ليس له إلا الله، فإن دعاءه عظيم عند الله.
من تعلق بالله ومن انقطعت أسبابه وتوجه إلى الله، فُتحت له أبواب رحمة خاصة.
لا تشتكِ للناس وتنسى الدعاء، فالنبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.
الله يسمع شكواك، ويبصر حالك، فلا تُضيّع قلبك بين الناس، بل اجعل ملجأك الأول والأخير إليه وعلق قلبك بالله.

الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

نتعلم من خولة رضي الله عنها التوسط بين الشريعة والعقيدة والجمع بين الأمرين؛
اعتمدت رضي الله عنها على *الشريعة* ، فأخذت بالأسباب وذهبت إلى النبي ﷺ تراجعه وتجالسه ولم تقصر،
وفي الوقت نفسه اعتمدت على *العقيدة*، وعلقت قلبها بالله وحده فرفعت شكواها إلى الله.
وهذا يبين أن التوكل الحق لا يعني ترك العمل، بل الجمع بين بذل الأسباب مع بقاء القلب معلقًا بالله.
إذا انقطعت الأسباب، كان اللجوء إلى الله هو الباب الأعظم للفرج.
التوكل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب.
من الفوائد أحيانًا أنك تحتاج في مشكلتك إلى ناصح حكيم خبير متجرد من الأهواء.

قال تعالى:
{فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ}
فمن الخطأ أن تلجأ لصديقة حاقدة أو قريبة متعصبة فتزيد المشكلة.
كثيرًا ما تُخرب البيوت بسبب اختيار خاطئ للناصح الغير مؤهل.
عندما أوشك البيت أن ينهدم ضجت السماوات العلى، لذلك يجب المحاولة للحفاظ على البيت وعدم هدمه.

التعجل في الطلاق وآثاره

بعض الرجال خفيف العقل، يتلاعب بالطلاق في كل صغيرة وكبيرة كأن يقول: علي الطلاق لو فعلتِ كذا... وهذا سفه.
وبعض النساء كل مشكلة عندهن مبرر لطلب الطلاق، وقد قال النبي ﷺ:
"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة".
وعليه لا أحد كامل، ومن كره من زوجه خُلقًا رضي منه آخر.

يجب أن نحل المشكلة طالما هناك مخرج وحل.
يجوز للزوجة أن تساعد وتحل ماتقدر عليه.

الصلح والتقاضي في العلاقات:

جلسات الصلح مبنية على التغافل والتسامح والتنازلات وليس على أخذ الحقوق كاملة.
أما التقاضي فمبني على العدل وأخذ الحقوق وقد يلزم ذهاب الأطراف إلى المحكمة لأخذ الحقوق.
وهذا مثال واقعي في عهد النبي ﷺ على الصلح فعندما نصح خولة لم يركز على من المخطئ، بل على ما يمكن أن يحل المشكلة.
وحتى في الكفارة شاركت رضي الله عنها في دفعها، رغم أنها المظلومة، لتستمر الحياة الزوجية، ويجوز للمرأة أن تعين زوجها في الكفارة المالية.

تكريم الإسلام للمرأة:

من جمال هذا المشهد أكرام الإسلام المرأة وتحريم أن تُعامل كاللعبة أو تُحرَّم على الرجل بكلمة غضب.

فلم يعد الظهار عادة مقبولة كما في الجاهلية، بل صار منكرًا له كفارة، ليحفظ الله للمرأة كرامتها ومكانتها ويجبر الرجل على التأني.

(الآية 2):
{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}.

بماذا يقع الظهار :
يقع الظهار بأن يقول الرجل لزوجته ما يشبهها بامرأة محرمة عليه مؤبدًا، مثل قول "أنتِ علي كظهر أمي" أو "أنتِ علي كأمّي"، أو بجزء منها محرم عليه النظر إليه كالظهر أو البطن أو الفخذ.
ومن ظاهر عليه التوبة ، أما الكفارة فهي لرجوع الحياة الزوجية.

{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}
حكم الظهار:
حرام ومنكر وزور، لأنه تحريم لما أحل الله وظلم للمرأة،
والآية جمعت بين الوعيد والتعنيف ثم فتحت باب التوبة والعفو.
{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.
منهج القرآن في معالجة الظهار أو أي إساءة:
التعنيف أولًا: بيان أن القول منكر وحرام.
ثم التمهيد للحل: ذكر الكفارة التي تتيح للزوج العودة كما في الظهار، أو الحل المتاح حسب الحالة.

النية وأثرها في الظهار :
إذا قال الرجل لزوجته: "أشعر أنك مثل أمي" في حنانها عليه مثلًا، أو ناداها بـ"يا ماما" من غير قصد الظهار، لا يقع الظهار، لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات".
مع ذلك، الأفضل ترك هذه الألفاظ تمامًا لئلا يلتبس الأمر والله قد يعفو عن ذلك.

(الآية 3):
{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}
يعزمون على الجماع أو مقدماته بعد وقوع حكم الظهار.
{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}
قديمًا الأصل أن يحرر عبدًا أو أمة لوجه الله، وهذا الحكم غير موجود حاليًا.
{مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا }
اختلف العلماء هل المقصود هنا الجماع فقط أم مقدمات الجماع ؟
بعض أهل العلم قال أن الممنوع منه هو الجماع، أما مقدمات الجماع فهو غير ممنوع منها.
وبعض العلماء قال أنه ممنوع من الجماع ومقدمات الجماع كالقبلة والمباشرة.. وهو الأقرب والأحوط،
لرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما:
"أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قد ظَاهَرَ مِنْ امرأته، فَوَقَعَ عليها، فقال: يا رسول الله، إني قد ظَاهَرْتُ مِنْ زَوْجَتِي، فَوَقَعْتُ عليها قَبْلَ أَنْ أُكَفِّرَ، فقال: وما حَمَلَكَ على ذلك يرحمك الله؟، قال: رَأَيْتُ خَلْخَالَهَا في ضوء القمر، قال: فلا تَقْرَبْهَا حتى تَفْعَلَ ما أَمَرَكَ الله به"
وذلك من تمام العقوبة، أن يكفر عن الذنب أولًا.

إذًا ضوابط الكفارة:
واجبة قبل أن يقارب الزوج زوجته، فمن جامع قبل التكفير آثم وفعل فعلاً محرمًا، ولا يعتبر زنا، لأنها زوجته، ولا يحتاج كفارة ثانية، فقط تبقى عليه الكفارة مع التوبة.
{ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ}
الوعظ: هو الكلام الذي فيه ترهيب وترغيب.
{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}
فلا يصح أن يتحايل الإنسان على أحكام الشرع؛ كأن يطلب الفتوى من غير أهلها، أو يغيّر في حقيقة الواقعة ليخفف الحكم عنه، أو يروي القصة بوجه آخر، أو يكذب ويتساهل، أو حتى يكتم الطلاق طلبًا لحكم يوافق هواه، الأحكام تُبنى على الصدق والأمانة، والله يعلم خفايا النيات.
(الآية 4):
{فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
وهي على الترتيب لا على التخيير، فالبديل إذا لم يجد رقبة هو صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا شهران هجريان متتاليان.

أحكام خاصة بصيام الكفارة:

من أفطر يومًا منها بلا عذر، لزمه أن يبدأ الصيام من جديد.

أما إذا أفطر لعذر كمرض أو سفر، فيتوقف ثم يكمل بعد زوال العذر.

إذا وافق صيام الكفارة شهر رمضان، فالأولى أن يضبط شهرين بعيدين عن رمضان، فإن وقع رمضان في أثنائها صام رمضان، ثم أفطر يوم العيد، ويستأنف إكمال ما بقي من الكفارة ابتداءً من اليوم الثاني من شوال.

ولا يباشر زوجته إلا بعد إتمام الكفارة.

{فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ}

الأصل أن الصوم عبادة معتادة للمسلم، قد تعوّدها خلال رمضان.

من كان صحيح البدن قادرًا على الانضباط، فعليه الصيام، وإن احتاج إلى صبر! لأنها عقوبة.

الأصل أن صيام شهرين متتابعين ليس صعبًا بل هو واجب. من صام رمضان سابقًا يستطيع صيام الكفارة،

ومن لم يصم رمضان لكبر أو عجز أو عذر جائز لايصم الكفارة، وينتقل للحل الثالث وهو إطعام ستين مسكين.

{فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}

المسكين هو الفقير الذي لا يجد ما يسد حاجته.

صفة الإطعام تكون:

إما وجبات كاملة لستين مسكينًا من وسط أكل الناس فيعمل 60 وجبة ويطعم 60 مسكين.

أو نصف صاع من بقوليات كالرز أو عدس والله أعلم (نحو 1.25 كجم تقريبًا من قوت البلد) لكل مسكين.

لا يجوز إطعام مسكين واحد 60 مرة، بل لا بد من ستين شخصًا مختلفين.

فجعل الله الصيام المرحلة الثانية بعد العتق، لأنه أشد على النفس من الإطعام، لكنه أيسر من العتق الذي قد لا يستطيع كثير من الناس القيام به.

{ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

الإشارة إلى أن الامتثال للأحكام اختبار للإيمان، لأن الأحكام فيها شدة، خاصة إذا خالفت الهوى أو ثقلت على النفس.

الإيمان يظهر في مخالفة الهوى لا في اتباع ما يوافق النفس.

مثال: الصلاة محبوبة، لكن الحجاب أو ترك المحرمات يكشف حقيقة الإيمان.

{ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
يكفر بالله من أعترض على حكم الله أو رفضه أو لم يرضَ به، فقد عرّض نفسه للكفر.
(الآية 5):
{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}

{يُحَادُّونَ}
أي يجعلون أنفسهم في حدّ وعداء مقابل لحد الله ودينه.
ومثلها: "يشاقّ" أي في شقّ آخر غير شق الدين.
ومثلها: "يعادي" من العدوة.
أي أنه بينه وبين دين الله مسافة.
{ كُبِتوا}
أي أُهينوا وأُذلّوا ولم يصلوا لمرادهم أو مقصدهم.
معنى الكبت: عدم الوصول للمراد.
وحتى لو قتل الكافر المؤمن، فإن ثبات هذا المؤمن حتى الموت يُفشل غاية الكافر.
الغاية الحقيقية للكافر: إخراج المؤمن من دينه قال تعالى:
{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ}
فالغاية هي أن ترتد.

الكافر يظل مكبوتًا طالما ثبت المؤمن على دينه، حتى لو تعرّض المؤمن للقتل أو العذاب.
أمثلة ذلك من القرآن
مؤمن آل ياسين: قُتل ثابتًا على دينه كُبِت قومه فدخل الجنة وانتقم من قومه.
الغلام والساحر : مات ثابتًا كُبِت الملك، وآمن الناس من أهل القرية فقبضت أرواحهم قبل أن يصلوا النار وأكلت النار الملك وجنوده.
{بَيِّنَاتٍ}
واضحات.
(الآية 6):
{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

{جَمِيعًا}
هناك قولان:
القول الأول (الأقرب) يجمع الله الخلائق الأولين والآخرين.
القول الثاني: جميعًا يجمع كل فرد على حدة مهما تفرقت أجزاؤه.
وعموم القولين يكمل بعضهما،
{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}
النبأ أعلى من الخبر، فالخبر قد يكون خبر عادي، أما النبأ يشير إلى أمر عظيم وهو هنا الحساب على الأعمال ومصيرهم.
{أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}
الناس تنسى أعمالها بسبب الغفلة، أو تقادم الذنوب، أو لامبالاة القلب والله جل في علاه لا ينسى، كل شيء مسجّل بدقة صغيرة وكبيرة، حاضر ومستتر ولا يُظلم أحد، فالعدل مطلق.
لا تحقر ذنبًا احتقار الذنب يؤدي إلى نسيان الاستغفار عنه.
الأفضل معالجة الذنوب فور وقوعها بالاستغفار والتوبة بالأذكار .
إذا أصبت بالذنوب صباحًا استغفر فورًا، لا تنتظر المساء وهكذا.
لابد للمسلم من التوبة اليومية: استغفار وتفريغ ما في القلب كل نصف يوم.
اخش الله :
اخش من لاينسى ذنوبك التي نسيتها، وارجو من لاينسى حسناتك التي نسيتها.
ماذا يفعل من ينسى ذنوبه:
يستغفر الذنوب المنسية،
كما كان النبي ﷺ يستغفر عن الذنوب:
"اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه".
أو كما في الحديث:
واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب".
يشمل الذنوب المعروفة والمجهولة.
أمثلة على الذنوب العصرية :
الكلمات، التعليقات، والتفاعلات، والمشاركات على وسائل التواصل الاجتماعي فاحذرها.
التذكير بالعدل الإلهي:
الله شاهِد على كل شيء لا يضيع عمل صالح، ولا يُغفل ذنب، لا ينسى، ولا يظلم.
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.